بالعربي

اغتيال صدام حسين أولى ثمرات تقرير بيكر - هاملتون.. التعاون الأمريكي الإيراني

sameera@binrajab.com
سميرة رجب

خُذْ مَكَانَكَ وَاثِقاً فِي المُنْتَصَفْ... مُتْ مِثْلَمَا خَطَّطْتَ... لا تَدَعِ المَجَالَ إلى الصُدَفْ
يَا أَيُّهَا الأَفُقُ الكَبِيرْ... إصْعَدْ فَمِثْلُكَ لا يَمُوتُ على السَرِيرْ
لَمْ يَسْتَطِيعُوا لَيَّ عُنُقَكَ قَبْلَ هَذَا اليَوْم... فَاقْتَادُوكَ مَأْسُوراً حَسِيرْ
إنِي سَأَعْذُرُ مَنْ يَلِفُّ الحبلَ حَوْلَكَ إنْ تَلَعْثَمَ وَارْتَجَفْ...
إصْعَدْ لمشنقةِ الشَرَفْ...
(لشاعرها)

من المؤكد أن النص الكامل لتقرير بيكر - هاملتون قد أرفق بملاحق سرية (غير معلنة) أكثر قبحاً في وصفها للمهمات الاستعمارية المتدنية التي على الإدارة الأمريكية تنفيذها قبل الانسحاب النهائي لقواتها من العراق، بحسب ما ورد في التقرير الأصلي.. إنما حتى هذا النص المعلن فقد جاء بقدر من الاستفزاز يكفي لأن يستمر الجهاد في العراق حتى آخر عراقي في بلاد صدام حسين.. وسيبقى المحتلون ينزفون دماً ومالاً حتى يذكروا الله ويستوعبوا الدرس العربي الذي لن يمحى من مخيالهم ولا من دفاتر تاريخهم الدموي المتوحش الأفاق..

قبل أن يبدأ جيمس بيكر أولى خطوات مشوار تقريره هذا، وتحديداً في تاريخ ٥ أكتوبر ٢٠٠٦، اجتمع على العشاء بالسفير الإيراني جواد ظريف في منزله بحي مانهاتن (مايكل هيرش / نيوزويك ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦) ليتسلم الرسالة المبطنة بأن إيران «لن تقدم تنازلات مجانية بعد الآن» (والمقصود ببعد الآن هو بعد ما قدمته إيران للقوات الأنجلو أمريكية من دعم لتسهيل مهمتها في غزو واحتلال العراق في مارس -إبريل ٢٠٠٣)، وتقول باقي الرسالة بأن إيران «ليست مهتمة إلا باتفاقية أوسع نطاقاً تربط بين حاجة الولايات المتحدة إلى المساعدة في العراق ورغبة إيران في أن يسمح لها بتخصيب اليورانيوم، من بين أمور أخرى» (نيوزويك ٥ أكتوبر).. وبناء على هذا اللقاء التدشيني وغيره من اتصالات نص التقرير على إشارات واضحة للدور الإيراني المطلوب في العراق ضمن التوصية بإنشاء «المجموعة الدولية لدعم العراق» التي من المتوقع أن تشمل جميع دول الجوار العراقي و«مصر ودول الخليج والأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي، ويمكن أن تنضم دول أخرى مثل ألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية»، وفي هذا نص التقرير على أنه «ينبغي أن تطور المجموعة نهجاً محدداً مع دول الجوار، يأخذ بعين الاعتبار مصالح هذه الدول واتجاهاتها ومساهماتها المحتملة».. وضمن الرؤية الدبلوماسية لمعدي التقرير نص على أن «العلاقات الأمريكية مع سورية وإيران تشمل قضايا صعبة يجب أن تحل، لكن ينبغي إجراء محادثات دبلوماسية مكثفة وموضوعية، تتضمن قدراً من توازن المصالح، ويجب أن تضع واشنطن في اعتبارها نظام الحوافز لإشراك سورية وإيران...»... ومن المؤكد بأن الحافز الأول الذي قدّمته إدارة بوش المهزومة للحصول على التعاون الإيراني الأكيد كان رأس صدام حسين كأولى ثمرات هذه المقايضة الدنيئة... والبقية تأتي..

ولإيران تاريخ طويل في التحالف مع الغرب على حساب العرب والمسلمين، تمكنت هذه الدولة أن تحتل أراض عربية هي أثرى بقعة في إيران اليوم وللتاريخ نذكر الاحتلالات التالية:

١- تمكّن البرتغاليون، بمساعدة بلاد فارس، من السيطرة على مضيق هرمز عام ١٥٠٧م/٩١٣هـ، ليبدأ عصر هيمنة الغرب على مضائق وبحور العرب، وبداية انتهاء دور المنطقة العربية كطريق استراتيجي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب.

٢- وقّع الصفويون مع العثمانيين على «معاهدة زهاب الأولى» في عام ١٦٣٩ كوثيقة صلح وتحديد المناطق الحدودية بينهما لتشكّل نصوصها أساساً من أسس المعاهدات التالية، وبموجبها أصبحت المدن الحدودية العراقية مجالاً للصراع العثماني الفارسي طوال القرن التاسع عشر.. وبعد تاريخ من الصراعات والمعارك بين الطرفين على أرض العراق، وقّعا «معاهدة ارضروم الثانية» في عام ١٨٤٧م، نالت بموجبها بلاد فارس المدن العراقية سربيل زهاب، وخيلان غرب، وكرند، ودرنة، وغيرها، وهي مناطق حدودية تابعة لولاية بغداد، واقتطاع المحمرة، وميناؤها ومرساها وجزيرة خضر (عبادان حالياً)، لتُضمّ كلها إلى إيران، ونصت على حرية الملاحة في شط العرب. وجاءت التنازلات العثمانية بالموافقة «تحت الظروف القاهرة، وبتعبير آخر حمّلتها إنجلترا وروسيا ضغطاً كبيراً عليها»، وذلك لما كانت تمر به هذه الدولة من ظروف حرجة منعتها من رفض إرادة الأطراف الأوروبية، وخصوصاً أن بريطانيا كانت قد طلبت حرية الملاحة في شط العرب على أمل تدويله. وفي المذكرة التفسيرية التابعة لهذه الاتفاقية حددت إنجلترا وروسيا صلاحيات الفرس والعثمانيين في هذه المناطق، لخلق توازن يضمن موافقتهما وتوقيعهما على الاتفاقية.. فقيّدت صلاحيات إيران بعدم التدخل في سيادة المحمرة وحكومتها التي كانت بقيادة قبيلة بني كعب العربية خوفاً من تمرّد قبائلها الأشداء، ولما كان يتميّز به هذا الميناء الحيوي من أهمية لخطوط ملاحة المستعمرات البريطانية. لذلك بقيت المحمرة وباقي إمارة عربستان عصية على الفرس فلم يتمكنوا، في تلك الظروف الدولية، من فرض سيادتهم عليها. ولكن، مع تطور المصالح البريطانية في منطقة عربستان، وتزايد أهمية هذه الإمارة في رسم سياسات المنطقة بعد اكتشاف آبارها النفطية الثرية تمكنت إيران من الزحف إلى المحمرة واحتلالها عام ١٩٢٥، بعد اعداد مؤامرة دنيئة مع الانجليز حيث دعوا أمير المحمرة (الشيخ خزعل)، المعروف على مستوى الخليج برمته، على العشاء في إحدى بواخرهم، فغدروا به وقيّدوه وسلّموه للإيرانيين الذين قتلوه.. وكان التاريخ يعيد نفسه بتسليم الأمريكان صدام حسين لجلاديه الإيرانيين الذين كانوا يردون الصلوات بلكنة فارسية في قاعة إعدامه..

٣- وفي بروتوكول الحدود الموقع بين الطرفين سنة ١٩١٣م احتلت إيران مدينة قصر شيرين العراقية والأراضي التابعة لها، وخسر العراق بهذا البروتوكول منطقة آبار النفط المعروفة الآن بـ «نفط شاه». وهكذا وضعت إيران يدها على مناطق النفط العربية الأكثر ثراء في الشرق الأوسط بالتعاون مع الاستعمار البريطاني.. وهنا نكرر للتأكيد أن كل تلك الاحتلالات الإيرانية للأراضي العربية منذ اتفاقية أرضروم الثانية (١٨٤٧)، حدثت بالتحالف مع القوة العظمى البريطانية، وإن تلك الأراضي العربية حوّلت إيران إلى دولة نفطية ثرية من جهة، وحولتها من أرض مغلقة لا تملك أي منفذ مائي، إلى أرض مفتوحة على أحد أكثر المنافذ البحرية حيوية في الخليج العربي...

٤- ولم يتوقف الامتداد الإيراني، ففي ظل الاستعمار البريطاني الذي لا تغيب عنه الشمس، احتلت إيران أيضاً الجزء الشرقي من بلوشستان في عام ١٩٣٦ لتمتد حدودها الجنوبية الغربية إلى سواحل خليج عمان والمحيط الهندي، وتمتلك أطول إطلالة على البحر نسبة لباقي دول الخليج، امتداداً من شط العرب والخليج العربي إلى المحيط الهندي (إيران ٣٢٠٠ كم، السعودية ٢٥٠٠ كم، عمان ٢١٠٠ كم، اليمن ١٩٠٠ كم، الإمارات ١٤٥٠ كم)..

٥- ولتكتمل السيادة الإيرانية على المنطقة، وفي إطار «تسويات إقليمية أخرى، منها توقيع إيران اتفاقيتين للجرف القاري مع كل من قطر والكويت عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ على التوالي»، وبالتعاون مع بريطانيا، احتلت إيران عام ١٩٧١ جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى، التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة في مضيق هرمز، المنفذ البحري الوحيد والبوابة الاستراتيجية للخليج العربي، نظير إلغاء إيران الإدعاء بحقها التاريخي في البحرين.

٦- وفي عام ٢٠٠٣ دخلت إيران العراق بتعاون أنجلوأمريكي صهيوني، بعد أن وصل الغزو والمد الإيراني التبشيري المذهبي المغرب العربي مكتسحاً كامل سوريا ولبنان ومصر والسودان والخليج وشبه الجزيرة العربية..

فماذا تنتظرون يا أصحاب الفخامة والسيادة والسمو!!.. بعد أن أصبحت أرضنا العربية مكشوفة بكاملها أمام الغزاة.. غزو احتلالي غربي أمريكي وغزو استيطاني إيراني إسرائيلي؟..

شُلَّتْ يَمِيني قَبْلَ أَنْ أَرْثِيلَكِ...
يَا نَهْراً ثَوَارِسُهُ مَدامِعُنا... وَأَوْجُهُنَا الرِمَالْ
هَلْ لِيْ ولو إغْفَاءَة حَرَّى على شَاطِيلِكْ...
يَا أَيُّهَا الرجُلُ المُحَالْ
أَنَا كُلُّ شَيءٍ دَاخِلي يَبْكِيكَ... إلاَّ أَعْيُنِي...
صَدَّقْتُ للشَمْسِ ارتِحَالْ.. وَنَامُ في القَبْرِ الجِبَالْ
إذْنْ... وَدَاعَا... وَالسُؤَالْ...
هَلْ فوقَ هَذي الأَرْضِ بَعْدَكَ مِن رِجَال
(لشاعرها)